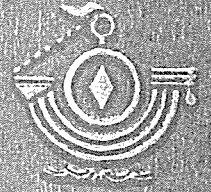


نادى القصة

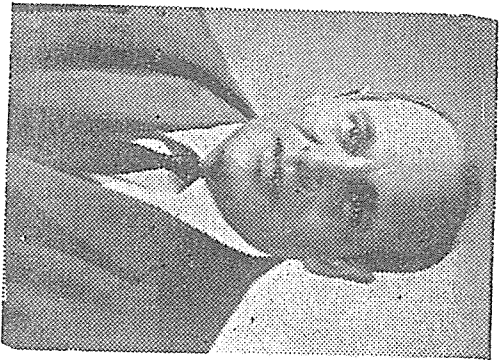


العدد الرابع - أغسطس ١٩٧٠ - الثمن ٥ قروش



انتباهة اليبسة

بقلم أبو المعاطي أبو النجا



كان من المقرر أن يسافر الاستاذ محمد عبد الكريم عبد الله مع وفد الادباء الذي زار ألمانيا في شهر يونيو الماضي ومنذ علم بهذا القرار أبدى اعتذاره عن السفر ، وحين سألته عن الاسباب حدثني عن اشتغاله برواية لا يجب ان يتركها قبل ان تنهى ، وعن ظروف عائلية تخيم وجوده في القاهرة في شهر يونيو ، ولم أفتنع بالاسباب التي ذكرها ، وفي كل مرة جلست معه كنت أحاول اقتناعه ولم أفتنع بالمدمول عن اعتذاره وبأن يعير سفره من ألمانيا الى بولندا ليكون لي بشيئين ، بالمدمول عن الرحلة ولأول مرة يصير الاستاذ عبد الكريم على رأيه أصرا را حفظ رفته في تلك الرحلة ولأول مرة يصير الاستاذ عبد الكريم على رأيه أصرا را بما لي غريبا بالنسبة لشخصه كما أعرفه !

قلت له : كيف تقاوم اقراء الرحلة الى أرض جديدة ؟ وهل الفنان سموى رحالة لا يهل البحث والاكتشاف ؟؟

قال وعلى شفثيه انتباهة فيها ظل من المراتة والسخرية : سألني هنا في انتظارك ، في انتظار أن تعود وتحدثني عن رحلتك وكشوقك ؟؟

ولم أصلق شعوري بما أسمع ، قلت في محاورته أخيرة يائسة : لو جئت فسوف ترى ما لا أراه ، وتعود بما لا أعود به !

وفي هذه المرة لم يرد ، اكتفى بهز رأسه وكفنه في حركه يعرفها من يعرفه !

ومن هذا الصراع اكتسب منه حرارة الخاصة وبريقه الخاص ، ومن حملة هذا الصراع اكتسبت لغته شعرها النعجي ، وصورها الغنية الركية التي تتلأخى فيها الحدود بين العلم والواقع وبين المادة والفكر وبين الطبيعة والانسان !!

ولم يكن وعيه بقصور الحياة هو وحده مصدر شكه العظيم بل كانت هناك تجربة قديمة ترجع الى طفولته ، الى تلك الفترة المبكرة التي تصنع جزاكيرا من الاالشعور ، مرة روى لي تلك التجربة !

في بيتهم الرقيق القديم كانت تعيش مع العائلة أزمة قفزة ، تعمل مع الاسرة ترضع الحيوانات الصغيرة وتظلف البيت وتلاعب الاطفال ، ومثل هذه المسية في مثل هذا الوضع في بيوت الريف في الاجيال الماضية لم تكن تعامل كخادمة بل كانت تتحول الى أم ثانية للاطفال وربة للبيت وبالنسبة له أصبحت لها قداسة الام وبراءتها وحنانها ، وفرحة ذات عظمة مبررة وهو يقفش عنها ، عن رمز البراءة والحب والقداسة فوجيء بها في موقف أصاب قلبه الصغير بجرح لم يبرأ طوال حياته ، وحتى بعد أن تضحج الضحى ، وتغيرت نظراته للموقف ، ظلت آثاره القديمة كاملة تعمل عملها في حياته وفي فقه !

وفي فترة الصراع الدائر في الاعماق ، والذي كاد يشغله عن أى صراع آخر كان يمسك في يده دائما « بعضن من الزيتون » في محاوله عبثية وصلبة لاقرار السلام بين القوى المتنازعة في القلب البشري وأحزته أن السلام لا يجيء ، وان غضن الزيتون وحده هو الذي يستظ في الرحل ، وفي كل مرة تمتد فيها يده النخيلة المجهدة لتنتقه ، وترتفع به . . . كان يعاود السقوط ، وزاد من شكه وأساه ان ساد حياتنا الادبية حينما نرفع من أحادية النظرة والفكرة فنلتنا الحوار الدائر بينه وبين هذه الحياة الادبية ثم كاد أن يتوقف ، ولم تكن تلك مشكلته وحده ولكن احساسه بها كان أعمق وأحد . . . !

ولكنه ظل يعمل في كبرياء وصمت ، كبرياء الفلاح الصرى وصمته الذي تعود أن يعطي دائما دون أن يأخذ ودون أن يشكو وسوف يذكر تاريخ الادب له هذا الموقف كأجد موافقه الانسانية والادبية !

وحين قضى عبد العظيم عبد الله في لحظة غضب ، كان ذلك آخر تعبير تركه لنا عن حبه العظيم للحياة فالذين يعيشون الحياة بقوة هم الذين يفضيرون منها ولها لانهم يريدونها طيبة وعادلة وكريمة !

ان ديون الحياة الادبية للكاتب الكبير سوف تنتقل ضمنها كويلا ، ولعلنا نرد بعض هذه الديون في وقت قريب بأصدار عدد خاص عن أدبه ، من مجلة نادي القلمة !!

لها جزنا عليه فسوف يبقى حتى تهتد الايدي المتسجعة الى « قصص الزيتون » وترتفع به الى حيث يجب أن يكون في حياتنا الادبية ، وحيث يبقى الصراع في حياتنا الادبية حرا وعادلا وشريفا ، آنذاك سوف نستسم ونهوى الى قبه تلك الالتمساة !!

حركة رحالة مل الرحلة ، وكأنه لم يعد يجسد فيها ما يستحق العناء أو الفضول أو الشوق !!

لظننا لم أكن ولم يكن يعرف أن القدر يعد له رحلة الى بعيد . . . رحلة خارج الزمان والمكان ، حيث لا عناء ولا فضول ولا شوق . . . رحلة تبدأ حين يلوح أن كل شيء ينتهي فجأة !!

ومنذ تلك اللحظة لم ألح عليه في موضوع السفر ، احترمت رفيقته ، وان كنت لم أفهمها تماما !

ذاك أن عبد العظيم عبد الله الذي قدر لي أن أعرفه عن قرب كفنان وكاتبان ، كان أهم ما يميزه حبه العظيم للحياة ، وفي هذا الطب القوي العنيف يكمن الكثير من أسرار فقه وأسرار حياته !

لم يكن حبه عبد العظيم عبد الله للحياة حبه النائم الذي يريد أن يغير كانه حتى ترتفع الى ذات من يحب ويعبد ، ولاحب الرجل العمل الذي يقبس ويوازن بين الرسائل والفتايات حتى يلتقي بمن يجب أو بما يجب في منتصف الطريق !! ولكن حبه للحياة كان مزيجا معقدا من هذا كله ، فهو لم يقنع بحبه الرجل العجلى ، ولم يغامر بحبه النائم أو المتصوف ، وفي مكان من قلبه كانت ترتد بذور النائم والمتصوف معا ، تتغذى بحبه ملتب ، وترتوي بعصارة قلب مشبوب ، وترتفع على أجمعة خيال محلق برى فيمن يجب كما يجب . . .

تدفعه بذور الثورة الى الاقبال على الحياة ، وتشده بذور التصوف الى إزهد عنها !

ولكنه كان دائما ذلك العظيم الذي يبحث عن بكارة الاشياء والمواطف والتبسم والأفكار !

وروعه قصور الحياة ، وقصور البشر ، فكانت آلامه عظيمة لان آلامه كانت كحبه بغير حدود ، وكحبه معلقة بين السماء والارض !!

وحين كانت النهايات الإسمية تحيء ، وتفحصه الصورة في المثال ، كان يفقد سمادته دون أن يفقد أمه ، لان هذا الامل لم يكن ابنا لفكرة عن الحياة أو مجرد خبرة بها ، بل كان وليد قلبه وفطرته ولانه قدم من القرية فقد ظلت فيه صلاة الفلاح الذي يشق طريقه بالناس بين الصخور ، ولكن القرية التي محتته صلاة الروح هي نفسها التي حرشته صلاة الجسد ، فتعذب ذلك الجسد بما في تزوحه من عناد وبأس !!

وأمام قصور الحياة تحول الحبه العظيم الى شك عظيم وتحولت الحياة الى خائبة كتب قصتها في كل ما كتب .

وكان الصراع الحاد بين الحبه والشك بين الثقة وفقدان الثقة بين كمال الخيال ونقص الواقع هو مسألة حياته وموضوع فقه !